

مايو والاطفال

الدكتور
الزوين عباس عمارة

دار الثقافة

بيروت - لبنان

نشر وطبع
دار الثقافة
بيروت - لبنان
١٩٧٠

إهداء

الى أطفالنا الصغار ...
اطفال مايو ... جيل البعث والهدايه
الجيل الذي ولد ، ويولد كل يوم تحت سماء
سودان الثورة

في براءة الطفولة تنفتح عيونهم ...
وفي نشوة الفرح تعانق نظراتهم ..
شموخ الوجوه المشرقه ...
كنور الحق يبدل الشك يقينا
وضوء القمر يفيض جا وحيننا
وصفاء الماء ينساب أمنا وطمأنينه
وحدّ السيف يقطر دماً وضعينه
وجه ثورة مايو الاشتراكيه
التي اعادت صياغة الحياة ... وكتابة التاريخ .

مقدمة

بقلم الاديب الكاتب هنري رياض

صدر للدكتور الزين عباس عمارة قبل هذا الديوان ديوانان هما (الضياء والحريق) و (مع رياح العود) وكلاهما من الشعر الحديث .

ورغم ان ما انطوى عليه هذا الديوان من شعر حديث يتميز عن الشعر العربي التقليدي من ناحية العروض والتقنية والصيغة الاسلوبية والصور الشعرية الا ان شاعرنا استطاع ان يستخدم القوافي على صور شتى ، الامر الذي ساعده على ان يحتفظ لشعره بأوزان موسيقية عذبة ورنه محببة مما يدل على رسوخ التراث القديم في نفسه وضخامة حصيلة حفظه من روائع الشعر القديم فهو مرتبط في الاصل بالتراث ومرتبطة في الفكر بالتجديد بالصورة التي لا تهز كيان القارئ الذي ترسبت في نفسه جذور الماضي حتى الاعماق فاصبح التحول المفاجيء من (القافية) الى

(اللاقافية) فقرة هائلة لم يتهيا لها ذهنيا ولا نفسيا ،
وعلى هذا فالشاعر في تخلصه البطيء من القديم يتحمل
عبء هذه المسؤولية في امانة لا تفتقر الى كل مقومات
الابداع .

ولا تدل قصائد هذا الديوان على ان الشاعر
يملك الاداة الفنية فحسب بل على ثقافة اشتراكية
مستنيرة ايضا .

ولذلك يحس القارئ للديوان لاول وهلة بانه
يتحرك ويدور في اطر ايدولوجية معينة وان لصاحب
الديوان موقفا تقديريا معينيا تجاه الناس والحياة .

وعلى هذا لا يعبر الزين عماره عن احساسه
ووجدانه بصورة انفعالية مطلقة ، بل يمتزج تعبيره عن
انفعاله وتجاربه الشخصية بفكره التقدمي وثقافته
الواسعة ونظرته الانسانية الشمولية امتزاجا دقيقا
عميقا ، الى الحد الذي يجعل من شعره اداة للتعبير عن
النظرات والآراء والانفعالات التقدمية لجماهير شعبنا
المناضل .. الحقيقة التي تطفئ على كل حقيقة سواها
بدءا من (الضياء والحريق) عبورا (مع رياح العودة)
وصولاً الى (مايو والاطفال) .

وينطبق هذا الحكم على اكثر قصائد هذا الديوان
فأفضل ما يتمثل ذلك بروزا في قصائده (مايو والاطفال)
(صور خارج الزنانة) و (رسالة الى الشهيد) .

ولا يقف الشاعر بوصفه مثقفا اشتراكيا تقديما
على حدود بلاده وحدها ، بل انه يستشرف بثقافته
الواسعة آفاق العالم الكبير ويحمل في صدره هموم
عصره مثلما يحمل هموم السودان بأسره .

ففي قصيدة (مايو والاطفال) يهمل الشاعر فرحا
بمولد ثورة مايو فرحا طبيعيا صادقا من اعماق قلبه
مؤملا ان يعود الخير والمجد (للاطفال ازهار الحياة
المورقة) ناعيا على الجيل القديم - والشاعر منهم وفق
زعمه - انانيته وحبه لذاته وعدم بذله وعطائه الا
« بمقابل او ثمن » وانغماسه في ملذاته وشهواته وتطلعاته
الشخصية . انها المقابل الموضوعي لمسئولية الشاعر
تجاه تعرية مواقف جيله في امانة متجردة من الفرض
وبضمير مثقل بجراحات العصر .

ولكن الشاعر استشعر بعد ان أمعن في السخرية
من ابناء جيله ومن المتسلقين والمنافقين أنصار الرجعية
والطائفية ان عليه ان يخضع انفعالاته للتفكير العلمي ،

وان يضع النقاط فوق الحروف كمفكر ومثقف تقدمي،
ولذلك انطوت القصيدة على مدح وتمجيد لاولئك الذين
ناضلوا عشرات السنين في سبيل نصرة المبادئ
الاشتراكية والقيم الاخلاقية وما زالوا يناضلون من
اجلها ، وما أروع ختام قصيدته اذ يقول :

مايو توكأ في المسير على جراح الثائرين
واشدد اكفك في النضال على اكف المخلصين
قبضوا على جسر القضية منذ عشرات السنين
لم يقبضوا ثمن الهتاف ولا أجور الناخبين

ولعل مما يدل ايضا على ان شاعرنا صادق في
ايمانه بكفاح ابناء هذا الجيل ، مقدر لتضحيات كثير من
المثقفين والعاملين الذين كافحوا طويلا بطش الاستعمار
ولم تلن قناتهم رغم ما لاقوا من تشريد وحرمان وجوع -
تقديره وتقييمه لثورة مايو الاشتراكية تقييما يمتزج فيه
الفكر بالانفعال امتزاجا رائعا سليما .

استمع اليه حين يقول في قصيدته (صور خارج
الزنزانة) :

في العيد الاول اسألکم : جيل الشعراء
اسألکم يا جيل الحرف المورق كلمات خضراء
قد غسلت عار الارض البكر
فعدت مورقة عذراء
اتكئ على كلمات القائد
اسند رأسي فوق صحائفه البيضاء
انشدکم شعرا مطلعہ : مايو قد جاء
جبا وعطاء ...
قوتا وكساء ...
خصبا ونماء ...
ارضا خضراء
نبعا يتدفق منه الماء .

اما في رائعته (رسالة الى الشهيد) ، فقد استطاع
الشاعر التعبير عن التفاؤل والامل والتطلع الى حياة
افضل باسلوب شاعري مشير ، رغم انه عاش في دوامة
المأساة الدامية بقلبه واعصابه وبكل جارحة فيه حزنا

على شهيد الوطن المقدم محمد الحسن محمد عثمان ،
بل حزنا في واقع الامر على شهداء فتنة مارس ١٩٧٠
سواء اكانوا من رجال الجيش او البوليس او الضحايا
الابرياء من البسطاء المواطنين ، ولذلك فان الشاعر قد
تصدى لموقف الطائفية ناقدا وساخرا من مآسيها عبر
التاريخ بل متمردا واثرا عليها ، واعيا لدورها الرجعي
في الحفاظ على تخلف بلادنا وربطها بفلك الاستعمار
القديم والحديث على السواء . . . مشيدا بالشهداء ،
داعيا الى تغيير وجه حياتنا تغييرا جذريا ، ليس لصالح
(عثمان) الصغير ابن الشهيد الصديق بل لصالح جميع
الناس في السودان وفي غيره من البلدان .

لن انسى يوما جئت تحدثني فرحان
عن ان الثورة سوف تغير وجه العالم والسودان
فعزاء الثورة في ابنائك في «عثمان»
ابن السنتين... الوجه الضاحك رغم المآثم والاحزان
لم يعرف بعد سوى اثنين .. سوى وجهين من
السودان

الاول راح مع الشهداء
وضاع الثاني في الاحزان
ان نقرن ذكرك بالنسيان
وسنحمل اسمك في (عثمان)
تذكارا يبقى للتاريخ ووجها آخر في الميدان .

وفضلا عن ذلك يضم هذا الديوان قصائد وجدانية
صرفة مثل (صباح الخير مولاتي) ويا (جارة) و (رفقا
بالقوارير) ويبدو لي ان الشاعر يحاول فيها ان يفضض
عن نفسه او ييوح بمكنون سره ولكنه لا يبلغ في نظري -
مستوى الابداع في قصائده الاجتماعية والوطنية .

لقد نشر الدكتور الزين عمارة ثلاثة دواوين شعر
منذ بداية ١٩٥٧ اي خلال ثلاثة عشر عاما تقريبا وهي
تكاد تمثل مرحلة واحدة من تطور شعره رغم ان بعض
قصائده قد انشئت اثناء دراسته ورعم التفاوت
النسبي الطبيعي بين بعض القصائد خلال هذه الفترة
شكلا ومضمونا .

ويمثل ديوان (مايو والاطفال) امتدادا طبيعيا
- فكرا واسلوبا - لهذه الرابطة الوثيقة في الشكل
والمضمون في الاداة ونوعية تناول لقضايا العصر ، واذا
صدق ظني فان ديوانه الاول (الضياء والحريق) والذي
لم يجد حفاوة المنتديات الادبية التي وجدها ديوانه
الثاني (مع رياح العودة) لا يقل روعة ودلالة اجتماعية
وسياسية .. فقد كان (الضياء والحريق) - في
نظري - حريقا هائلا شب في كل مؤسسات الحكم
الرجعي وكان أداة فعالة من ادوات النضال السياسي
واحد اسلحة المقاومة الشعبية في ظل الحكم العسكري
داخل وخارج الجامعة .. ولكنه ظهر في ظروف انطفات
فيها جذوة ثورة اكتوبر وماتت روح المقاومة وقويت
شوكة الرجعية فصبت ماء باردا على فكرة تشتعل
وكان نصيب (الضياء والحريق) من التجاهل الحاقد
والاهمال التعمد لا يقل مرارة عن نصيب الشاعر من
التجاهل والعقوق ... وظهر ديوانه الثاني (مع رياح
العودة) في ظروف مفيرة وبيئة مختلفة .. في ظل
الثورة .. وبيئة الحياة الاشتراكية المتفتحة لكل جديد
وتقدمي فوجد من الحفاوة والتقدير ما خفف وطأة
الجرح على ضمير الشاعر فكان ديوانه الثالث تعبيراً عن

الفرح الطفولي .. بعودة الحياة .. بعودة الربيع ..
بميلاد الثورة .

وانا لنرجو على يديه وزملائه من الشعراء الشرفاء
المناضلين مزيدا من وقود الشعر الذي يدعو للتطور
والامل والفرح والعمل في ظل الاشتراكية التي ارسى
قواعدها في بلادنا ثورة مايو الاشتراكية الظاهرة .

هنري رياض
المحامي

رسالة إلى شهيد

١ - دعاء

يا رب السذج والبسطاء
نحن الثوار وقود الثورة في الأحياء
هل أنت قريب تقبل منا كل دعاء
أم انت بعيد - حقا - عنا
تطلب منا دفع الجزية للوسطاء
نحن كفرنا بالوكلاء
قد ضقنا ذرعا بالزعماء

١ - الشهيد : المقدم محمد الحسن محمد عثمان الذي
استشهد في فتنة مارس في ام درمان وترك طفلين
اكبرهما في الثانية من عمره .

ورفضنا حكم القرن الماضي ، حكم الورثة والخلفاء
نحن سحقتنا أصنام عبادتنا البلهاء
اعذرتنا ربي نحن كفرنا بالاسماء
كل الاسماء
الا أسماء الله الحسنى ، ذات العظمة والايحاء
اذ كنا عطشى .. قد حرمونا جرعة ماء
اذ كنا جوعى ... يمتثلون بغير حياء
اذ كنا موتى في الطرقات نسير عراة وسط عراء
ونسوت دفاعا عن سادتنا - كبش فداء ..
ارحم موتانا جند الثورة والشرفاء
بارك مولانا غضب الثورة حين تصدّت للجلاد
من حمل المدفع باسم الدين أثار الفتنة والاحقاد
من قال الثورة جاءت تسعى للالحد
من جمع الناس وأعلن : إن الموت جهاد
في عهد الثورة والأمجاد

قد غسلت عار الحزب الفاجر بالميلاد
قد فتحت باب التوبة حتى كل طهر منا كل فساد
واتصرت حقا حين تصدت للأسياذ

٢ - الحقد المقدس :

ماذا تركوا غير الحقد .. وغير المآثم والاحزان
ماذا تركوا غير الحزن يخيم في كل السودان
ماذا تركوا غير الدمع النازل يجري في الاجفان
ماذا تركوا غير الجشث وغير القتلى في الميدان
ماذا حصدوا بعد الطعن وبعد القتل بروح القسوة
والهيجان
ماذا تركوا غير يتامى في الطرقات ... وكل مكان
ماذا تركوا غير شكالى تبكي الزوج وأهل الحلة
والاخوان

ماذا كسبوا غير الخيبة والخذلان
قد بزغ الفجر وريح الثورة كالطوفان
يكتسح الغابة مثل السيل وكالاعصار وكالبركان

٣ - الجنة والنار

لو أن الجنة والفردوس تباع هناك بالأمتار
لو أن هناك بين الله وبين رعيته سمسار
أحد الوكلاء أو الخلفاء أو التجار
لارتفع السعر إلى الأضعاف .. وتساوى الصامت
والثرثار

واحتكم الناس إلى الدولار
هل يترك نكسون أو جونسون في الجنة شبرا للشوار
أو ظلا فيها للأحرار
دعنا في النار .. دعنا في النار

الرحمة تغشى قبر الموتى في القوات وفي الانصار
من دفعوا قهرا نحو الموت وماتوا ظلما دون خيار
من سبحوا وهماً ضد الحكمة .. ضد الثورة ..
والتيار

(المهدي) كان سلام الله على عنزته والأخيار
سيفا للحق فذك حصون الاستعمار
لم يسكن قصرا .. كان يعيش حياة الراهب داخل
غار

قد حمل الدعوة بين يديه مثل المصحف ليل نهار
قد نشر رسالته في الأرض وأعطى الراية للانصار
انصار الحق .. دعاة الوحدة .. لا للاشرار
لم يعط السيف ولا السكين ولا « الفرار »
لم يأمر رجلا يقتل رجلا قرب الجامع أو في الدار
لم يعط إشارة بالزحف بسوء النية والاصرار
لم يشعل حربا في التاريخ ولم يزهق روحا للشار

صلوات الله عليه القائد .. رجل الحكمة والاقدار
وسليل المجد .. امام الآخرة المغوار

٤ - رسالة الى حسن

في قبرك نـم
يا حسن السيرة والتاريخ وصوت الثورة ملء الفم
يا أول بطل خر صريعا عطر ثورتنا بالدم
سطرت المجد على صفحات كتاب الثورة
وكتبت حروفا تنضح فيه دماء ثره
ودخلت ضريح الموت شهيد الارض الحره
يا انسان
قد كنت صديقا للاطفال وللشبان
قد كنت الرحمة للغرباء وللجيران
قد كنت بريقا في عيني وعدت ضبابا ودخان
في لحظة ضعف .. انحدرت دمعات رفاقك كالطوفان

لما حملوك على الاكتاف وجاء النعش مع الفرسان
نزل الجثمان

جثمان الفارس يفدي الثورة والاطوان
لن أنسى يوما جئت تحدثني فرحان
عن ان الثورة سوف تغير وجه العالم والسودان
فعزاء الثورة في ابنائك في (عثمان)^(٢)
ابن السنتين .. الوجه الضاحك رغم المآثم والاحزان
لم يعرف بعد سوى اثنين .. سوى وجهين من
السودان

الأول راح مع الشهداء
وضاع الثاني في الاحزان
لن تقرن ذكرك بالنسيان
وسنحمل اسمك في (عثمان)
تذكارا يبقى للتاريخ ووجها آخر في الميدان .

٢ - عثمان : الطفل الاكبر للفقيد وعمره سنتان .